التحديات
التي واجهت المسلمين في الاندلس
المورسيكيون انموذجا

Challenges faced by Muslims
In Andalusia "Morskjon model"

* م.د. إياد كاظم هادي جلو الزبيدى

نبذة عن الباحث :
مدرس دكتور تدريسي في كلية العلوم السياسية في جامعة الكوفة.

* م.د. قائد كامل حميد البندر التميمى

نبذة عن الباحث :
مدرس دكتور تدريسي في جامعة بلد.

المقدمة :

يعتبر الفتح الذي أطلقته الدولة الأموية في شبه جزيرة الأندلس والذي امتد فيما بعد تسعة قرون نقطة تحول كبرى في تاريخ العالم حيث التقت الحضارات الشرقية بالغربية عبر تلاقح فكري بعدة مستويات منها السياسية والعقائدية والعلمية وغيرها. وقد اشترك كل من المسلمين واليهود والنصارى لعدة قرون في بناء حضارة عظمى أجهز عليها فيما بعد التعصب الديني البغيض والذي ما زالت آثاره ماثلة للعيان . لقد كانت دولة الأندلس أقوى دول أوربا على الإطلاق لقرون عدة بفضل التماسك الداخلي والنظام المتقدم للإدارة والعمران وإذا كانت الأندلس قد فتحت بالسيف إلا أنها استمرت لقرون راعية للتسامح الديني والبناء الاقتصادي والعلمي فكثرت فيها الموارد الاقتصادية والزراعية وحفظ حقوق الأقليات و ورعاية التعدد التسامح ولم يكن ظفر اسبانيا النصرانية بالاستيلاء على غرناطة وسحق الإسلام الا بداية النهاية في مصير الأمة الأندلسية . ولم يكن فقد السيادة القومية وفق الاستقلال والحري والذلة الدينية والسياسية والاضطهاد الديني والاجتماعي . وهي المحن التي تنزل عادة بالأمم المغلوبة . سوى لمحة يسيرة مما كتب على الأمة الأندلسية إن تعانيه على

يد اسبانيا النصرانية ، اجل إن ما عرف عن مصير مسلمي الأندلس بعد فقد دولتهم من افجع ما عرفت الأمم ، وما سجله التاريخ من فجائع الاضطهاد والتنكيل وسلب الحريات الشخصية ، وهو صور قاتمة للاضطهاد الديني والذي عرف في التاريخ بـ(محاكم التفتيش) [1]والتي يمر عليها مؤرخوا الغرب بعجالة خجلا مما فيها من فجائع تكشف زيف النصرانية على مدى التاريخ بدعواها السلم وتعري الدين النصراني الدعاوى الفارغة في هذا الصدد [2].

نعم قد حدث تناحر طائفي شديد بين النصرانية والاسلام على اثر تقدم العثمانيين في شرق اوربا الذي حدا بدوره الى تبني المسيحيين المتطرفين الى التضييق والتشديد على المسلمين في الاندلس واستمر هذا الحال حتى سقوط غرناطة ، اما في اواخر القرن التاسع عشرا فقد ارتكب بالمقابل العثمانيون مجزرة الأرمن فلم يكن الحال عند هولاء بأفضل مما قام به النصارى مع المورسيكيون وذلك بسبب جور الحكام وغلبة من لا تدبير لهم على مفاصل الحكم في الدولة العثمانية وهذا يجري في اغلب الدول.

تدهور مملكة غرناطة

ان ما حل بالمورسيكيين الاندلسيين بعد سقوط غرناطة وحتى طردهم النهائي سنة(1609 م) يعد اشد وافضع مأساة انسانية عرفها التاريخ البشري على الاطلاق ، ومع هذا فان نوعية المعلومات التي بحوزتنا يغلب عليها الطابع العاطفي الارتجالي والحماسي الادبي من امثال قصيدة الرندي وكتابات بعض المؤرخين حول هذا الموضوع ، وهي بالحقيقة كتابات تؤرخ وتذكر الناس بهذه المأساة وترفع الجهل عنهم فهي اعلامية دعائية اخبارية اكثر منها كتابات اكاديمية تناولت في العمق عددا من القضايا والاشكالات التاريخية لعملية التصفية الجسدية والحضارية والنفسية لمجتمع اسلامي قائم له قواعده وقوانينة الثابة وتشريعاته ونظمه المستمدة من جوهر القرآن والاسلام ، وكيف آل مصيره الى الفناء المطلق .

فبسبب التناحر على زعامة الاندلس بين الحكام فيما بينهم بعد محمد الغني بالله لم تعد الأندلس إلى سابق قوتها أبداً فقد تعاقب الملوك على العرش ووقعت بينهم الخلافات والحروب ، وكان كل منهم يستعين بملوك (قشتالة) على إخوانه ، وفي كل معركة كان المسلمون يفقدون حصوناً وبلاداً ذات أهمية حتى انتهى أمر المملكة في النهاية إلى اقتصار على مدينة غرناطة ومدينة (وادى آش) وما حولهما .

وتجلى ضعف مملكة غرناطة وقرب سقوطها في أيام أبي الحجاج يوسف الثاني المتوفى سنة (794هـ /1392م). فقد اشتد العداء بينه وبين بني سراج وانتهز ملك (قشتالة) الفرصة فاستولى على بلدة الزهراء المجاورة لغرناطة سنة(809ه/ 1417م) .

وبعد سقوط جبل طارق سنة 1462م على يد القائد (رودريجو بوسني ديليون) الملقب بدوق مدينة سالم ، ولم يعد هناك أمل في أن تظل مملكة غرناطة وقتاً طويلاً .

وقد تجلت نهايتها بوضوح سنة(884هـ/1479م) وهي السنة التي تم فيها الاتحاد بين الملك فرناندو الرابع ملك أرغون والملكة إيزابيلاً الثانية ملكة (قشتالة) (3) . وكانا تزوجاً قبل ذلك بعشر سنوات . وكان معنى ذلك أن إسبانيا النصرانية كلها قد أصبحت كتلتين تعملان على القضاء على ما بقي للمسلمين في شبه الجزيرة :

الأولى مملكة (قشتالة) وأرغون وكانت تقوم بالنصيب الأكبر في القضاء على مملكة غرناطة . ثم مملكة البرتغال التي أتمت الاستيلاء على غرب الأندلس . وبدأت قواتها تهاجم السواحل المغربية وتنشئ عليها مراكز عسكرية لتواصل الغزو في أراضي المسلمين . وقد تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على سبته ولكنهم تخلوا عنها لقشتالة وظلت في أيدي الأسبان إلى اليوم(4) .

نهاية مملكة غرناطة

في أواخر سنة(887ه/1482م). تولى عرش غرناطة محمد بن أبي الحسن على . الذي يعرف باسم أبي عبد الله أو (بو أبديل) في النصوص النصرانية . وكان والده أبو الحسن علي قد تزوج على زوجته الحرة عائشة .زوجة نصرانية سميت (ثريا) وأبو عبد الله هذا هو ابنها . وكان أبو الحسن سلطاناً ضعيفاً محاطاً بالمصاعب . تنافست النساء في عصره على حيازة العرض لأبنائهن . وطال النزاع بين أبي عبد الله الذي ذكرناه . وعمه أبي عبد الله محمد بن سعد . الملقب بـ(الزغل) أي الباسل أو الشجاع .

بعد منافسات طويلة قرر فرناندو وإيزابيلا القضاء نهائياً على مملكة غرناطة . فسارا لحصارهما بقوات ضخمة . وفي النهاية عقد أبو عبد الله الزغل معاهدة التسليم مع ملكي قشتالة وليون 21 من محرم سنة(897ه/ نوفمبر1491م). أما دخول الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا مدينة غرناطة فكان في (2 ربيع الأول897ه/2 يناير1492م). وهو تاريخ حاسم في تاريخ الإسلام والغرب الأوربي . وقد احتفلت به البلاد النصرانية كلها وأمرت الباوية أن تقرع كنائس أوربا كلها احتفالاً بتلك المناسبة . ومع الأسف إننا لا نملك نصوصاً عربية تصف أواخر مملكة غرناطة . لأن التواريخ المعتمدة تنتهي بوفاة ابن الخطيب . ولكننا وجدنا كتاباً مجهولاً المؤلف يسمى (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) بقص علينا أطرافاً من أخبار مأساة غرناطة في أيامها الأخيرة . لابن عاصم . وكانت لدينا قبل ذلك أجزاء منه . واحتفظ بها المقرى في (نفح الطيب) و (أزهار الرياض) .

وقد نصت معاهدة التسليم على أن يحتفظ للمسلمين في غرناطة بكل حقوقهم . وأن تظل لهم مساجدهم وأن يقيم منهم من أراد تحت العدل والإنصاف ويهاجر منه من أراد . ولكن النصارى ما كادوا يستولون على غرناطة حتى نسوا كل ما عاهدوا المسلمين عليه . وكان أول ما فعلوه تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة . ثم بدأت سياسة الاضطهاد لمسلمي غرناطة الذين دخلوا في جملة التدجين أي المسلمون الذين دجنوا في مواطنهم تحت حكم النصارى وقبلوا حكمهم . وقد ثار

المسلمون على تلك المعاملة مرة بعد أخرى ، ولكن الأمر انتهى بطرد بقاياهم من الأندلس سنة(1017ه/1609م)، أيام الملك فيليب الرابع ، وبذلك انتهت قصة الإسلام في شبه الجزيرة ، وإن بقيت آثاره الحضارية مائلة إلى اليوم(5) .

(ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة، بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا: إن القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهراً للكفر، ففعلوا ذلك، وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة، ثم تعدوا إلى أمر آخر، وهو أن يقولوا للرجل المسلم: إن جدك كان نصرانياً فأسلم فترجع نصرانياً، ولما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم، وهذا كان السبب للتنصر، قالوا: لأن الحكم خرج من السلطان أن من قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت، وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم وبادية وحاضرة، وامتنع قوم من التنصر، واعتزلوا الناس، فلم ينفعهم ذلك، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبياً، إلا ما كان من جبل بلنقة فإن الله تعالى أعانهم على عدوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة، وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خف من مالهم دون الذخائر) (6)

وقد تردد صدى هذه المحنة التي نزلت بمسلمي الأندلس بسرعة سائرة في جنبات العالم الإسلامي فنرى ابن إياس مؤرخ مصر وهو راوية معاصر يدون في حوادث مصر أغسطس سنة(906 ه/ 1500م) عقب محنة التنصير بأشهر قلائل ما ياتي :

وفيه جاءت الأخبار من المغرب بان الإفرنج قد استولوا على غرناطة التي هي دار ملك الأندلس وضعوا فيها السيف بالمسلمين وقالوا من دخل ديننا تركناه ومن لم يدخل قتلناه فدخل في دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على أنفسهم من القتل(7)

وفي هذا البحث المختصر نتناول التحديات الشعب المورسيكي في ثلاث فصول يسبقها تمهيد في التعريق بالمورسيكين ، نتناول في الفصل الأول تهجير المورسيكيين وماجرى عليهم من النصارى الغالبين .

وفي الفصل الثاني نتناول المحنة الكبرى التي تعرض لها المورسيكين بإجبارهم على اعتناق الدين المسيحي(التنصير) وترك الإسلام

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه ، الآثار الاقتصادية التي وقعت في الأندلس بعد تهجير المورسيكيين

ولابد من الاعتراف بان المصادر العربية بخصوص المورسيكيين شحيحة جدا لذلك اعتمدت الدراسة على المراجع المترجمة من اللغات الأجنبية رغم ندرتها .

نسال الله التوفيق في القول والعمل

التمهيد

التعريف بالمورسيكيين

الموريسكيون في الإسبانية (Moriscos) . اسم أطلق في شبه الجزيرة الإيبرية على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد استرجاعها على أيدي المسيحيين [8].

إن استعمال المصطلحات يكون دائما بحسب أول أطلاق . لذا فان إطلاق هذا المصطلح لازم المسلمين بعد سقوط اشبيلية ولم يعرف قبل هذا التاريخ مطلقا . فهو والحال هذه من المؤكد يكون مما أطلقه النصارى على المسلمين ولم يكن يعرف به مسلمو الأندلس أبدا[9] .

يشيع استعمال مصطلح (الموريسكي) بين المؤرخين المعاصرين. وحسب تعريف ليفي بروفينسال، في الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام، الموريسكي: (اسم يطلق في إسبانيا على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا على غرناطة يوم 2 كانون الثاني عام (898ه/1492م)، وبعد زوال حكم آخر أمراء بني نصر[10].

هذا التعريف على أهميته يقتصر على جانب واحد فقط من معنى المصطلح، لذا قد يكون من المفيد التوقف عند ما يورده معجم الأكاديمية الملكية الإسبانية، والذي نقرأ أن لفظة الموريسكي: (تطلق على (الموروس) الذين بقوا وتعمدوا بعد سقوط غرناطة). ويذكر هذا التعريف ميزة الموريسكيين الأساسية: وهي أنهم تعمدوا بوصفهم مسيحيين. وحتى هذا التعريف يتفادى الإشارة إلى أن تعميد هؤلاء (الموروس) (أي المسلمون) لم يحدث بناء على إرادة حرة من جانبهم. فلا غرابة أن تبقى غالبية هؤلاء على إسلامها، أو كما ورد في اتهام إحدى محاكم التفتيش: لا يقلون إسلاما عن مسلمي الجزائر. لكنهم كانوا مسلمين من نوع شديد الخصوصية: مسلمين سراً.[11]

ولكي نتحاشى احتمال الخلط في المعنى، لا بد من الإشارة إلى أن الكلمة الإسبانية (موريسكي) كانت تستعمل قديما بل حتى اليوم، بمعناها الأساسي الأصلي الذي يفيد (موري) الإنكليزية. (والصفة الإسبانية موريسكي) توازي (موري) قدر ما توازي الصفة الإنكليزية (Moorish) صفة (moro). فعندما يتحدث مطران هيتا (Hita) مثلا في كتاب الحب العفيف (بواكير القرن الرابع عشر الميلادي) عن (القيتارة الموريسكية) فإن الآلة المقصودة (مورية) في صفتها وليست (موريسكية) بالمعنى الخاص الذي نحن بصدده[12].

وطوال ما يقرب من قرنين من الزمان قبل عام(897 هـ / 1492م)[13]، كان المسلمون في إسبانيا ينقسمون إلى قسمين . القسم الأول يعيش في مملكة غرناطة المستقلة المسلمة العربية اللسان في عهد بني نصر، والقسم الثاني يعيش في كنف ممالك مسيحية شتى، يطلق عليهم اسم المدجنين.

وهنا لابد من الإشارة إلى إن الإسلام في الأندلس بعكس المسيحية تماما ، فقد كان النصارى يتمتعون بكامل حقوق المواطنة من الحريات الدينية والرفاه الاقتصادي وضمان العيش وهكذا في جميع الممالك الإسلامية غير الأندلس ، فكان جمهرة من النصارى يعيشون في الثغور الإسلامية ويعرفون بالنصارى المعاهدين او المستعربين وبالاسبانية(mozarabes) وقد لبثوا عصورا يتمتعون في ظل الحكم الإسلامي بضروب الرعاية والتسامح ، وكانت الحكومات الأندلسية على تتابعها تحافظ على سياسة التسامح الديني وضمان العيش لجميع مواطنيها بغض النظر عن الديانات التي يعتقونها او القوميات التي يتبنوها ، وربما كان بعض النصارى يتسلمون بعض المناصب المهمة في الدولة الا ان البعض استغل هذا التسامح وراح يبحث عن الوسائل لإسقاط الدولة باسم الانتصار للدين المسيحي والكنيسة ، وساعد على ذلك ظلم الخلفاء والملوك لعموم رعيتهم من غير استثناء مسلم عن مسيحي وكثرة الخلافات والتصارع الداخلي على السلطة[14].

ومن هنا دب الفشل شيئا فشئا في مفاصل الأمة الأندلسية التي كانت محاطة بدول فتية تريد الاستقواء باحتلالها وانتهاب ثرواتها ، فسقطت غرناطة سنة (897 ه/1492م).أخر معاقل المسلمين في الاندلس بعد حصار وحرب طويلة كان الغذاء والبرد واحد منها، فاستسلم حكامها الى المسيحيين تحت شروط قاسية تبين ضعف المسلمين وتهاون حكامهم بأمر الإسلام والرعية ،وكانت شروط استسلام غرناطة تكرر بتعديلات بسيطة، شروط الاستسلام التي فرضت على كثير من المدن والحواضر الأخرى عبر القرون. ولم يزل ملك النصارى ينقض الشروط(التي اشترطها المسلمون اول مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا، الى ان نقض جميعها ، وزالت حرمة المسلمين ، وادركهم الهوان والذلة ، واستطال عليهم النصارى ، وفرضت عليهم المغارم الثقيلة ، وقطع عنهم الاذان في الصوامع ، وامرهم بالخروج من غرناطة، الى الارباض والقرى، فخرجوا اذلة صاغرين، ثم بعد ذلك دعاهم الى التنصر ، واكرههم عليه وذلك سنة اربع وتسعين ومائة فدخلوا فيه كرها وصارت الاندلس كلها دار كفر) [15]

وبوجه عام، كانت المدن التي تقاوم حتى النهاية يتم اجتياحها ويطرد سكانها، كما حدث في مالقة عام (892ه/1487م). بينما المدن التي كانت تبدأ فيها المفاوضات قبل أن تشرع القوات المسيحية في هجومها الأخير، كان المسلمون في العادة يسمح لهم بالعيش في كنف المسيحيين لو اختاروا ذلك. وفي نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كانت ثمة جماعات كثيرة من المدجنين في جميع الممالك المسيحية وليس فقط في مملكة غرناطة[16].

ولكن وجود مملكة مستقلة في غرناطة كان يمثل الضمانة الأخيرة لحقوق المسلمين في جميع أرجاء شبه الجزيرة الأيبيرية. وكانت هذه المملكة بوصفها دولة إسلامية تعني أن الحكام المسيحيين ـ بل المسيحيون على جميع المستويات ـ

يتوجب عليهم معاملة المسلمين باحترام . لقد كان بين جموع المسيحيين في جميع الأوقات من يود لو يرى مزيدا من المساعي لحمل زملائهم المواطنين المسلمين على اعتناق المسيحية، لكن مثل ذلك الحماس كان لابد أن يكبح، لأن المسيحيين كان يمكن أن يجدوا أنفسهم في قبضة حكام مسلمين[17].

وهنا يبرز السؤال إن كان لنا أن نستخدم هذا المصطلح هذه الأيام في الكلام عن أحداث جرت بعد عام (907ه/1501م) مثلا. وهذه مفارقة تاريخية ولا شك. لكن الإعترض الأقوى على تعميم استخدام المصطلح يجب أن يصدر عن كونه وسيلة استخدمها أولئك الذين أرادوا تهميش هذه الجماعة وحرمانها من حقها في الاستمرار في إخلاصها للإسلام .

أذن فمصطلح الموريسكيين يعد من لوازم البحث التاريخي لاشتهاره وتداوله بين الكتاب والمؤرخين والعدول عنه الى غيره يسبب أرباك في فهم البحث او صعوبة في تحديد اتجاهاته، مع ما في اثبات هذا الاسم من مساهمة في بيان حقيقة التطرف الديني الذي أحدثته المسيحية أبان حكمها في غرناطة، مما يعز جهود الباحثين عن الحقيقة ويشجع الاخرين عن التنقيب في بطون المخطوطات والوثائق التي ترتبط بتلك الفترة من الصراع الديني بين المسيحية والإسلام[18] .

وذلك فإن إزاء إعادة تصنيف الناس تحت اسم موريسكيين دون الموروس (أي المسلمون)، كانت السلطات قد أخضعتهم لسلطة محاكم التفتيش (التي يستثنى منها جميع غير المؤمنين.

وهكذا يكون المسطلح نفسه قد تفادى مقدما البحث في مسألة خطيرة: هل كان المسلمون أحرارا في ممارسة دينهم في إسبانيا في القرن السادس عشر ؟ ومهما يكن من أمر ، فإن مصطلح الموريسكي قد اتخذ موقعا راسخاً في الكتابات التاريخية بحيث غدا تجنبه مدعاة لإثارة سوء الفهم. وقد غدت كلمة الموريسكيين شائعة الاستعمال حتى في الكتابات العربية. وربما يكون قد فات الأوان اليوم لمحاولة استبدالها، ولكن من الواجب بذل كل جهد لتجنب ما قد تحدثه الكلمة من مزالق مذهبية[19].

الفصل الأول: تهجير الموريسكيين من غرناطة إلى مناطق أخرى في إسبانيا

الواقع أننا وتحدثنا عن التطرف الديني الذي قام به المسيحيين الذي أن استولوا على غرناطة فسوف لم يقتصر حديثنا عن استبدال الدين الإسلامي بالدين المسيحي وإجبار الناس على اعتناق المسيحية . وانما سوف يمتد الى التطرف الفكري والعلمي حيث تم مصادرة تراث الإنسانية الذي زخرت به مكتبات المسلمين من مصنفاتهم في الدين والفقه والعقيدة والادب والتاريخ وشتى العلوم الإنسانية

فان ما قام به الكاردينال خمنيس مما يعد عملا بربريا الا وهو جمع كل ما يستطيع جمعه من الكتب العربية من أهالي غرناطة وار باضها ونظمت اكداسا

في باب الرملة التي تعد في وقتها اعظم ساحات المدينة، ومن هذه الاكداس آلاف المصاحف الثمينة وآلاف الكتب الزاخرة بالوان العلوم . فاضرم النيران فيها جميعا ولم يستثني منها سوى كتي الطب والعلوم التي حملت الى الجامعة التي انشأها في مدينة ألكالا في دي هنارس[20]، وقد قدرت المصادر المسيحية هذه الكتب بمليون وخمسة آف كتاب[21].

فأين يقع هذا الحرق من حرق المسلمين لكتب مكتبة الاسكندرية على فرض ثبوت صحة نسبة الحرق الى امر الخليفة عمر بن الخطاب بذلك وكأن المسالة اشبه باخذ الثأر لان مكتبة الاسكندرية الغالب فيها كتب المسيحية والفلسفة اليونانية .

وعلى اي حال تعد المشكلة المورسيكية سواء الطرد او حرب التبشيرات من اكثر الموضوعات في اداب وتاريخ القرنين السادس عشر والسابع عشر[22]. فقد أصدر فيليب الثالث ، في عام(1018ه/1609م)، مرسوماً قضى بطرد الموريسكيين من إسبانيا ، فتوجهوا إلى مناطق متعددة من المغرب : - إلى المغرب الأقصى ، ولاسيما إلى سلا والرابط وكذلك إلى فاس وتطوان ؛ - إلى المغرب الأوسط أو ما عرف في ما بعد الجزائر ، الى تلمسان ، ووهران ومدينة الجزائر ؛ - وحتى إلى إفريقية القديمة أو تونس . وكان بعضهم يمارسون الغزوات والقراصنة ، بينما تم تطويع البعض الآخر في جيوش مختلف الملوك ، لا سيما في جيش السعديين في مراكش . كما ضمت صفوفهم أيضاً علماء وحرفيين نقلوا إلى أماكن إقامتهم الجديدة بعض المعلومات الدقيقة الفكرية أو الفنية التي تميز بها حضارة الأندلس منذ قرون [23] .

في سنة 1570م، وقبل انتهاء ثورة غرناطة الكبرى، قرر المجلس الملكي الإسباني إقصاء المورسكيين جميعاً من مملكة غرناطة وتوزيعهم على قشتالة، خارج حدود دولة بني الأحمر القديمة. وقد جزّأ القائمون على التهجير مملكة غرناطة إلى سبع مناطق، جعلوا كل منطقة تحت إدارة مسؤول (أو مسؤولين أو ثلاثة) يقوم بتهجير سكان تلك المنطقة، كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً.

واختاروا مركزاً للتجمع لكل منطقة من المناطق السبعة، وهي: رندة ومالقة في ولاية مالقة، وغرناطة ووادي آش وبسطة في ولاية غرناطة، والمرية وبيرة في ولاية ألمرية. واختار القائمون على التهجير لكل نقطة تجمع من النقاط السبعة حوالي 12 نقطة تجمع ثانوية، عينوا عليها ضابطاً تحت أمرة المسؤول العام عن نقطة التجمع المركزية.

ودامت هذه المرحلة من تجمع المورسكيين أسبوعاً واحداً، حاول الاختفاء خلالها الكثيرون، بينما حاول آخرون البرهنة على حسن نصرانيتهم، وانضم آخرون إلى المقاومة. وعمل الجيش بكل قساوة وطغيان على جمع أكبر عدد من المورسكيين في المستشفيات والكنائس والأديرة حتى وصل عددهم إلى حوالي 5.000 مورسكي في ولاية مالقة)مالقة ورندة(و 26.400 في ولاية غرناطة) 12.000 في غرناطة و

12.000 في وادي آش و 2.400 في بسطة و14.500 في ولاية المرية) 8.500 في المرية و6.000 في بيرة(. أي يكون المجموع حوالي 46.000 مورسكياً.

وهذا هو العدد الذي أخبر به فرنسيسكو كوتيبرس دي كويلار الكاردينال دي سيكونزة في رسالة قال فيها:

كنت قلت لك في رسالة سابقة بأن عدد المسلمين الذين طردوا هذه المرة من هذه المملكة) يعني غرناطة(يزيد على 35.000 نفس. لكني علمت بعد ذلك أنه زيادة على الرقم الذي ذكرته لك. أخرج من وادي المنصورة حوالي 11.000 شخص آخرين. وبهذا يكون مجموع من أخرج من المملكة ما يقارب 50.000 نفس .

وبعد مرحلة التجميع ابتدأت المرحلة الثانية وهي نقل المهجرين في رحلة طويلة مشياً على الأقدام بمعدل عشرين كيلومتراً في اليوم. باتجاه الشمال أو الغرب. ورتب الجيش أول الأمر هذا الانتقال في تنظيم عسكري محكم. فقسم المهجرين إلى قوافل. تتكون كل قافلة من 1500 أندلسي (مؤطرين) من طرف 200 عسكري قشتالي. تتبعها عربات تحمل أمتعة المهجرين المسموح لهم بحملها[24].

وأخذت الترتيبات لتوزيع الغذاء. والذي تمثل في وجبة خفيفة في الصباح وثانية كبيرة في المساء. وأمر الجيش بتهدئة المهجرين وحثهم على المشي. بالكلام الطيب حتى لو أدى ذلك إلى الكذب عليهم باختلاق وعود بالعودة. كما تدل على ذلك الرسالة التالية إلى ألونسو كاريخال. المسؤول عن التهجير في بسطة:

عم النقص في هذه الولاية (يعني بسطة) في كل شيء بسبب عدم زراعة الأرض نتيجة اضطرابات الحرب والقحط الذي حل هذه السنة. لدرجة لا يمكن معها أن يغطي حاجيات المعيشة الضرورية... وقد قرر صاحب الجلالة في الوقت الراهن أن يخرج النصارى الجدد)يعني المورسكيين(من هذه المملكة)يعني غرناطة(وينقلوا إلى(قشتالة) والولايات الأخرى حيث كانت السنة غنية بالخيرات. ولم تفسد الحروب المحاصيل. وحيث يمكن للمهجرين بكل سهولة التغذية وتغطية حاجاتهم في هذه السنة. والتفكير في الوقت المناسب والطريقة المثلى في الرجوع إلى ديارهم الأصلية... وكذلك يمكنهم حمل أموالهم المنقولة دون أن يؤخذ منها شيء البتة مع إغداقهم بكل الكلمات الطيبة التي يعرفونها [25] .

كان التخطيط للمرحلة الثانية من التهجير. يقضي بنقل جماعة من الغرناطيين إلى إشبيلية غرباً وأخرى إلى البسيط شمالاً. لكن سوء الأحوال الجوية على طريق البسيط أرغمت منظمي التهجير إلى تغيير المخطط الأول. كما تعذر نقل المهجرين عبر البحر إلى إشبيلية. وهكذا أجبر الجيش المهجرين على المشي على الأقدام تحت المطر والثلج والبرد لأسابيع متواصلة. رغم أن جلهم كان من الشيوخ والأطفال والنساء. وقد أدى ذلك بالمهجرين إلى متاعب مهلكة مما أثار شفقة جلاديهم أنفسهم. كما جاء في كتاب (فروميتو دي فونتس إلى الكاردينال دي سيكونزة). حيث قال:

إنه لمن المؤثر جداً أن نرى العدد الكبير من الأطفال الصغار والنساء، يعمهم الفقر والحرمان اللذان لا ينتهيان، مع سوء الأحوال الجوية وكثرة العدد... حتى أصبح من الصعب إكمال كل ما يجب إكماله للاستجابة لكل الحاجات مهما كان المجهود... .

وانتهت المرحلة الثانية من التهجير بوصول 21.000 غرناطي إلى البسيط، و 12.000 إلى قرطبة، و 6.000 إلى طليطلة، و5.500 إلى (إشبيلية)، أي ما مجموعه 44.500 غرناطي، وبهذا يكون قد مات حوالي عشر المهجرين من الإعياء والتعب، وكان في نية الدولة الإسبانية تشتيت المهجرين من نقط تجمعهم الجديد، التشتيت الكامل في قرى ومدن (قشتالة) لتكسير عزيمتهم وإجبارهم على نسيان هويتهم وعقيدتهم ولاضمحلال عصبيتهم حتى يذوبوا في المجتمع النصراني المحيط بهم.

ابتدأت المرحلة الثالثة من التهجير وهي التشتيت، فأجبر الجيش 7.000 غرناطي ممن وصلوا إلى قرطبة على متابعة السير إلى منطقة بطليوس، و 7.500 ممن وصلوا إلى البسيط على السير إلى وادي الحجارة و(طليطلة) و(طلبيرة)، و 6.000 ممن وصلوا إلى (طليطلة) على السير إلى (شقوبية) وبلد الوليد و(بالنسية) و(سلمنكة) في الشمال.[26]

وتبعت هذه المرحلة من التهجير مرحلة رابعة، وهي تشتيت المهجرين على المدن والقرى الثانوية حتى تصل نسبهم من بين السكان إلى أصغر قدر ممكن. وبهذا دام التهجير شهرين متواصلين ولم ينته إلا في 1570/12/20م. ويقدر عدد الذين ماتوا بالطريق أو بعد الوصول بقليل، بين 1570/11/1م وربيع سنة 1571م، بثلث المهاجرين، أي حوالي 17.000 غرناطي. فلم يبق ممن هاجروا من ديارهم سوى 33.000 غرناطي، وفي حالة يرثى لها من الجوع والفقر والمرض والبؤس. ولضعفهم انتشرت فيهم الأوبئة، خاصة التيفوس، فأخذت المدن والقرى التي وصلوها تعاملهم أسوأ معاملة، وتحاول التخلص منهم بإرسالهم إلى المناطق النائية. ومنع المهجرون من الاتجاه إلى مملكة مرسية حتى لا يتصل أندلسيو غرناطة بمسلمي (أراغبون)[27].

وفي 1571/11/22م قررت الحكومة الإسبانية مرة أخرى إخراج المورسكيين الغرناطيين المهجرين من منطقة الأندلس القديمة إلى مناطق (قشتالة) المختلفة. فأخرج مورسكيو ولاية جيان إلى وادي الحجارة و(طليطلة) و(بلنسية). ولم تنته هذه المراحل المتتالية من التهجير إلا بعد أن كادت تقضي على المهجرين.

ولم يكن تهجير(978ه/1570م)، لأهل غرناطة من طرف القشتاليين أول تهجير، وإن كان أكبرها. فقد طردت السلطات الإسبانية إبان ثورة غرناطة الكبرى سنة (977ه/1569م)، أعداداً كبيرة من الأندلسيين من مدن مختلفة: في يونيو من حي البيازين في غرناطة، وفي نوفمبر من مدينة أشكر، وفي ديسمبر من باقي أحياء غرناطة. وتابعت السلطات طردها للأندلسيين سنة 1570م: فطردت في فبراير أهل

كهوف المنصورة، وفي مارس أهل البرج و(قمارش)، وفي مايو أهل بسطة و(طلوش) و(مندة)، وفي يوليو أهل غرناطة مرة أخرى. ويقدر عدد من هجر قبل تهجير سنة 1570 م بحوالي عشرين ألف أندلسي، منهم 7.000 من حاضرة غرناطة، و 6.000 من مرجها، و 7.000 من باقي مدن وقرى مملكة غرناطة.

وبعد تهجير سنة 1570م الكبير، هجر عدد آخر من أهل مملكة غرناطة، ابتداء من 3.500 أندلسي هجر من حاضرة غرناطة ومرجها في ديسمبر عام 1570 م إلى 51 أندلسي نقلوا من بلش إلى طليطلة في أبريل عام 1574 م بما مجموعه حوالي 10.000 أندلسي. فيكون مجموع من هجر من مملكة غرناطة إبان ثورتها الكبرى وبعدها ما مجموعه 80.000 مسلم أندلسي شتتوا على جميع أنحاء (قشتالة) عدا مملكة مرسية[28].

الفصل الثاني: محنة تنصير الموريسكيين

إن الفترة الموريسكية، التى تمثل امتدادا حضاريا للأندلس، قد حظيت باهتمام العديد من مراكز البحث الأوروبية، أما فى عالمنا العربى فلم ينل هذا الموضع -على أهميته -اهتماما يذكر إلا فى السنوات الأخيرة .صحيح أن الدكتور عبد الجليل التميمى أنشأ مركزا للدراسات الموريسكية فى تونس، لكن مركزا بحثيا واحدا لا يكفى لدراسة قضية عربية إسلامية معقدة مثل القضية الموريسكية. [29]

لقد منح المورسيكيون للتاريخ الإنساني والأمة الإسلامية احد الأمثلة على بطولاتهم الدينية وإيمانهم الراسخ ومقاومتهم الباسلة لسياسة الاندماج والتثقيف السياسي والتعميد القسري

وقد اثارت هذه المجموعة البشرية اهتماما كبيرا لدى المؤرخين ، فثورة البشوات سنة(976هـ/ 1568م)، او الطرد النهائي سنة (1018-123هـ/1609- 1614م) كانا باستمرار احد المحاور المفضلة للباحثين المعاصرين وهاتان الفترتان ذات الطابع مأساوي حاد [30].

لقد تجمع الموريسكيين أولا في الأراغون ، وفي منطقة بلنسية ، كما في أراضي مملكة آل نصر القديمة في غرناطة ، بعد أن استعادها الملوك الكاثوليك في كانون الثاني 1492م . وكانوا يتمتعون بوضع مشابه لوضع المسيحين في الأراضي الإسلامية وتعرضوا لضغوط هائلة لتحويلهم إلى الدين المسيحي [31]. ما أدى إلى اندلاع عدد من حركات التمرد ، ولما دعوا ، منذ العام 907هـ /1501م)، للتحول إلى الجبال المجاورة لغرناطة ، أدت إلى قيام انتفاضة جديدة في الأندلس استغراق قمعها وقتاً طويلاً [32].

يصف احد المؤرخين المسلمين وضع المورسيكيين فيقول:

(امتنع بعض الاندلسيين من التنصر وارادوا ان يدافعوا عن انفسهم كاهل قرية فجر وبشرة واندر اش وبلفيق، فجمع ملك الروم عليهم جموعه واحاط بهم من كل مكان حتة اخذهم عنوة بعد قتال شديد فقتل رجالهم وسبى نسائهم وصبيانهم واموالهم ونصرهم واستعبدهم الا ان اناسا في غربية الاندلس امتنعوا من التنصر واخازوا الى جبل منيع وعر فاجتمعوا فيه بعيالهم واموالهم وتحصنوا فيه فجمع عليهم ملك الروم جموعه وطمع في الوصول اليهم كما فعل بغيرهم فلما دنا منهم واراد قتالهم خيب الله سعيه ورده على عقبه ونصرهم عليه بعد اكثر من ثلاثة وعشرين معركة فتلواخلقا كثيرامن رجال وفرسان) [33].

يقول صاحب المعجب ان الفونصو الثامن لعنه الله خرج من مدينة طليطلة في جموع ضخمة ، حتى نزل على قلعة رباح... فسلمها اليه المسلمون الذين بها بعد ان امنهم على انفسهم ، فرجع عن الادفش(الفونصو) لعنه الله بهذا السبب من الروم جموع كثيرة ، حين معهم من قتل المسلمين الذين كانوا بالقلعة المذكورة ، وقالوا : انما جئت بنا لتفتتح بنا البلاد وتمنعنا من قتل المسلمين ، مالنا في صحبتك من حاجة على هذا الوجه [34].

وبالرغم من الانتصار الذي حققه الفونصو الى انه لم يتحول على الفور الى انتصار مسيحي على الاسلام ولم يحول مسجد طليطية الكبير الى كنيسة الا بعد شهرين من استسلامها بتشجيع من رئيس الاساقفة برنارد وزوجته الفرنسية كونستانس وفي اخلاء المسجد دخل الجنود الى المسجد ولم يكن فيه الا الشيخ المغامي اخر من صدر عنه فما هاب الجنود ولا خشاهم فقام وصلى وسجد والجنود والقساوسة يهابونه كما نقل قصته ابن بسام في الذخيرة [35]

ففي عام(905هـ/1499م) عين الملكان الكاثوليكيان القسيس (خيمنث دي ثيسنيروس) مساعدا للراهب(طالابرا)في عمله الشاق، وبقدوم هذا الراهب ابتدأت محنة المسلمين وكان قبل ذلك متقلدا لوظيفة رئيس ديني لمدينة طليطلة، وقد أدرك شهرة في قصور ملوك قشتالة.

قدم (ثيسنيروس) لغرناطة وغير خطة التنصير، وابتدأ بجبر المسلمين على اعتناق النصرانية بالعنف والقوة، وأحرق كتبا كثيرة في الميادين العامة على مرأى ومسمع من الجميع مما جعل النصارى نفسهم ينتقدون هذا الموقف، وقد قام بإحراق كتب كانت مزخرفة بالذهب والفضة مثل مؤلفات (Aljafair). وقد أحدث هذا ضغائن بين النصارى والمسلمين بعدما عمل طالابرا كل مجهوداته لإبادتها.

أصدر(ثيسنيروس) أمرا بتنصير المسلمين بطريقة القوة والعنف أو يخرجوا من إسبانيا إذا أرادوا البقاء على دينهم، ونسي معاهدة حرية العقيدة أو تناساها، تلك المعاهدة التي عقدها الملكان الكاثوليكيان مع المسلمين عند دخولهم غرناطة.

ثار المسلمون وذهبوا مسرعين إلى الموقع المعروف بالبوخارا (البوشرات) وفيه تحصنوا معلنين الثورة على ما حل بهم من الظلم. وقد قاموا في هذه المدة بثلاث ثورات في وادي المرية وفي الرندة وفي سلسلة جبال(أربال دي بيالوينكا وبميخل)، وسقط في هذه الحرب خيرة رجال(فرناندو)، وكان فرناندو يدير الحرب بنفسه. وقد تكبد أثناءها الفريقان خسائر جسيمة، ولكن الدائرة كانت على المسلمين. وبعد هذا دخلت بعض الأسر في الديانة النصرانية، ومن فضل البقاء على دينه كان مضطرا للهجرة إلى المغرب، إذ أصدر أمرا بالتنصير العام أو الخروج من إسبانيا، لأن أعضاء الحكومة الجدد كانت سياستهم ترمي إلى توحيد الدين فقد طردوا اليهود من قبل في سنة(898هـ/1492م)عند سقوط غرناطة والآن جاء دور المسلمين في عام(908هـ/1502م). وقد خرج عن طريق البحر من أراد البقاء على الإسلام، على شرط أن يترك أبناءه وبناته الذين لا يتجاوز عمرهم أربعة عشرة سنة مع ذهبهم وحليهم[36]. وكذلك أجبروا المسلمين الساكنين بليون وقشتالة على الخروج وعينوا لهم الطريق الذي يسلكونه لأرض مسلمة، ولكن الأمر لم ينفذ لأنهم تنصروا وخاصة أهالي أفيلا وسمورة ومدريد ووادي الحجارة وطليطلة، ولكن دخولهم في المسيحية كان في الظاهر فقط مثل مسلمي نواحي طرويل من أراضي أراغون الذين قدموا يطلبون الدخول في النصرانية لأجل البقاء في وطنهم، ولكن نصارى أراغون وبلنسية رأوا في طرد المسلمين خسارة لهم لأنهم كانوا يعتمدون عليهم في الزراعة والصناعة لأنهم أدرى بفنون هذه الأشياء من النصارى، فقدم أشراف النصارى طلبا (لفرناندو يلتمسون) منه ويرجون أن يوقف هجرة المسلمين ويترك لهم حرية دينهم كما وعدوا من قبل، فحظي هؤلاء الأشراف من الملك فرناندو المذكور بمرسوم يلبي بمقتضاه تنفيذ طلبهم وكان هذا في عام(916هـ/1510م)، وبهذا استمر بقاء المسلمين في إسبانيا مدة أخرى[37].

كان استسلام طليطلة سببا كبيرا لاضطراب المسلمين في هذه المدينة فظهرت أول بوادر الهجرة عن هذه المدينة وقد اختلفت أسباب دوافع هذه الرغبة واهما الحاجة الماسة لحفاظ الفرد على دينه وهروبا من التنصير الإجباري الذي يفرضه المحتل على المجتمع المسلم ، والعقوبة او المطاردة لمن يخالف ذلك .

فمنذ استسلام مدينة طليطلة عام(478هـ/1085م)، ارتفعت أصوات أندلسية مذعورة رأت في مغادرة الأندلس السبيل الوحيد للنجاة من سيوف النصارى، ورأت أصوات أخرى أن ترضى جماعات إسلاميةالعيش في تلك المدينة تحت إمرة ملك نصراني فحثتهم على رفض تلك المهانة والنزوح على الفور ووضعت بذلك الكتب التي تحذر من عواقب الدجن والانصياع لما يفرضه النصارى الشماليون[38].

ان المتبقين في المدن التي احتلها المسيحيون من المسلمين كانوا في مواجه مصير عصيب من الخوف والرعب الخوف حقيقة على الدين اولا والخوف من التميز الطبقي بحسب التصنيف الطائفي ،فليس المسيحي الاصلي كالمسلم الذي تنصر

بالإكراه، اذ لا يشفع له تنصره ان ترفع مكانته الاجتماعية بل يبقى في نظر المسيحيين انه مسيحي من الدرجة الثانية، ازاء هذه التجربة المريرة فقد اختار المورسيكيون احد امرين أحلاهما مر، وهو البقاء على الدين الإسلامي ومواجه عقوبات ومضايقات لمسيحيين المحتلين

ويصف لنا صاحب نفح الطيب ان النصارى طاردوا المسلمين المورسيكيين في كل مكان يقول (فصار الواحد من المسلمين يعبد الله خفية ويصلي ، فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ، ومنعوهم من حمل السكين الصغير فضلا عن الحديد، وقاموا في بعض الجبال على النصارى ولم يقيض لهم ناصرا[39] .

بل ابعد من ذلك تعرض الكثير من المسلمين الى القتل والحرق والقتل لعدة اسباب اغلبها تنتهي الى سبب رأيسي واحد وهو الرغبة باستئصال المسلمين لا غير، وقد بلغ الامر بان يدان الناس من غير جرائم حقيقية[40] .

(وقدبينت الدراسات الاحصائية انه تم في بلنسية حرق(129) سيدة مورسيكية ، و(73) رجلا، بل ان 70 بالمئة ممن احرقوا بمنطقة لو فورنوفي الربع الاخير من القرن السادس عشر كن من النساء كان عددهن (154) امرأة [41].

ان هذه الامر ان دل على شبى انما يدل على تمسك المسلمين بدينهم رغم تلك الضروف العصيبة التي مر بها اهل الاندلس والتعسف الذي قام به المسيحيون اتجاههم

وبعد صدور قرار منع ممارسة الشعائر المحمدية والعادات ذات الصفة الإسلامية، كانت قضية تعليم المسيحية للموريسكيين تمثل إحدى القضايا التي تركز حولها اهتمام السلطات المدنية والكنسية خلال القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ولم يكن هناك إجماع على رأي واحد، فقد دافع البعض عن ضرورة أن تتبع سياسة التسامح حتى يتم اعتناقهم الدين الجديد، وكانوا يعتبرون الوسائل المتبعة معهم في هذا الصدد غير كافية، ولهذا كانوا يعتبرون عملية الطرد لا مبرر لها، والبعض الآخر- من بينهم الراغبون في إخضاعهم- كانوا يرون أن جهودهم التبشيرية لم تثمر عن شيء، فكانوا غير مقتنعين بعملية التعليم ولهذا كانوا من أشد المناصرين لعملية الطرد.

كانت المراقبة التي فرضت على المورسيكيين بلغت من الدقة والصرامة الى الحد الذي يلزم رفع التقارير عن حركاتهم العبادية حتى في داخل اسرهم من خلال مراقبة عبيدهم او خدمهم ، وكذلك من متابعة المناسبات الاسلامية ومدى استجابتهم لها في الخفاء ، لقد كانت حالة من البشاعة وكبت الحريات الشخصية لم تشهد ها اي مرحلة من مراحل التاريخ البشري مطلقا ، كما انهم كانوا يراقبون من خلال الحضور الدائم الى الكنيسة وتادية الطقوس المسيحية ومن تخلف حتى لعذر قد يتخلف لمثله مسيحي اصلي لا يعذر لان الحكم السابق على

الموريسكيين بانهن لم يتحولوا الى الديانة المسيحية قد غلب على محاكم التفتيش وافرادها والكنيسة [42].

يجب أن نذكر في هذا الصدد رأي خوان دي ريبيرا الذي قال عن موريسكيي إقليم فالنسيا-في تقريره المرفوع إلى فيليبي الثالث: "إنهم لا يعترفون، لا يتناولون القربان، لا يقربون الزيت المقدس، لا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون الخمر ولا يفعلون الأشياء الأخرى التي يفعلها المسيحيون". وقد عرض الأسباب التي جعلته يشك في تحولهم الصادق إلى المسيحية فقال: "إن عدم الإخلاص العام هذا لا يرجع إلى نقص في تعليمهم العقيدة، وإنما إلى قرارهم أن يكونوا مسلمين كآبائهم وأجدادهم. إن أعضاء محاكم التفتيش يعلمون أن الموريسكيين-بعد سجنهم عامين أو ثلاثة وتعليمهم أمور العقيدة- يخرجون من السجن دون أن يعرفوا كلمة واحدة.

في النهاية أقول إنهم لا يعرفون العقيدة، لأنهم لا يريدون معرفتها ولأنهم يفتخرون بأنهم لا يفعلون شيئا له مظهر مسيحي، ويجب بأن نضع في الإعتبار جيدا أن بطيرك فالنسيا قد استنفذ كل الوسائل التي يمكن أن تؤدي إلى تعليم الموريسكيين الديانة المسيحية، ورغم ذلك يقول: إذا قلت الحقيقة فيجب ألا نسميهم موريسكيين بل مسلمين.

والملاحظ ان المسلمين حين حرروا الاندلس لم يفرضوا الاسلام على اهلها فقد كان هناك ثمة يهود بقوا على يهوديتهم ،كان تعامل العرب الفاتحين مع السكان الايبيرين قائما على اتفاقات مختلفة , وان اخصرت في امرين جوهريين هما:

(ان يدفع هؤلاء جزية على رؤوسهم وخراجا على أرضهم كان في الأغلب جزءا من غلة الأرض يعادل الثلث حينا والربع حينا أخر حسب طيب الأرض ولتها) [43].

لقد كان مجيء العرب الى شبه جزيرة ايبيرية تخليصا لليهود من محنتهم تحت ظل حكم القوط فوقفوا الى جانب الفاتحين (فاستخدمهم الجيش الفاتح كحاميات للمدن التي يحتلها) [44] كي يحتفظ بكتلته أثناء توجهه لفتح الأماكن الأخرى ـ لذلك عاملهم العرب الفاتحون برفق كبير،ورغم انتشارهم في جميع المدن الا ان منطقة غرناطة او كورة ايبيرة كانت تعج بهم حتى شاع تعبير (غرناطة اليهود)[45].

لا يمكن أن يكون نقص تعليم الدين (المسيحي) إذن هو السبب في عناد الموريسكيين. وعلى سبيل المثال سنذكر التعليمات الصادرة عن أسقف إشبيلية(1013هـ/ عام 1604م)، هناك أمر بأن تسجل كل كنيسة كبيرة جميع الموريسكيين المقيمين في دائرتها وأن تعين لهم الكنيسة أو الصومعة أو المستشفى الذي يجب التوجه إليه لسماع الوعظ يوم الأحد وفي أيام الأعياد الأخرى، كما يوصى كبير القساوسة بتعيين رجل دين مناسب متخصص لإلقاء الوعظ ولتعليمهم العقيدة المسيحية ولامتحانهم في الدين. ويجب فرض غرامة قدرها ثماني عملات، ونصف ريال، على من يتغيب عن حضور الوعظ والاعتراف وتعلم الديانة

المسيحية. وفي النهاية يأمر بتعيين رجل طيب ليراقب عملية التعليم الأولى لأبناء الموريسكيين من سن الخامسة إلى سن الثامنة، وأن توقع على الطفل غرامة قدرها نصف ريال عن كل يوم يتغيب فيه(46)..

راهب يعارض طرد الموريسكيين

على اننا يجب ان لانغفل ان طرد المورسيكيين من الأندلس أواكراههم على اعتناق الديانة المسيحية لم يكن يتمتع بموافقة من جميع أقطاب الكنيسة بل لقيت الكنيسة معارضة بعض الرهبان لقرارها هذا، الا ان تلك الأصوات المعارضة كانت خافتة لم يتظهر بشكل واضح ومؤثر لعظمة ضجيج المؤيدين للطرد او التنصير .

توجد بأرشيف كتدرائية إشبيلية وثيقة في شكل رسالة موجهة من أسقف إشبيلبية (بيدرو باكا دي كاسترو) إلى الملك فيليب الثالث، بتاريخ(24 يناير 1610)، يعبر من خلالها عن رفضه لقرار طرد الموريسكيين، وفيما يلي نص الرسالة:

"سيدي، لقد أعلن في هذه المدينة قرار ملكي لصاحب الجلالة، وذلك لإخراج الموريسكيين. وقد أحدث ذلك أسفاً وشفقة لأنه يبدو أن ذلك القرار العام جداً يشمل أبرياء، وأخاف أن يمثل ذلك خطراً على ضمائر بعضهم. ومن المرجح أن كل شيء يتم بعد الأخذ في الاعتبار المشاورات التي تتم دائما. وأنا باعتباري راهباً فإن هذا يحزنني ويؤلمني، وأرغب في إنقاذ الضمائر، وهذا يعطيني الشجاعة في كتابة هذه السطور.[47]

إن الهدف الرئيسي وسبب هذا القرار الملكي ليس معاقبة جرائم، وإنما انطلاقاً من رحمة صاحب الجلالة، فقد قرر إبعاد هؤلاء الناس، وتجنب الخطر الذي يمكن أن يأتي منهم. وبالنسبة للموريسكيين الذين يقيمون في هذه المدينة يبدو أنه لا يوجد منهم أي خطر لأنهم قلة، فقد تم إخراجهم جميعاً في الثورة الماضية من هنا، وبقي القليل وهم أناس مستضعفون ولا يمثلون جزءاً من أي شيء.

كذلك لا يشكل خطراً النساء من جميع الأعمار، ولا الرجال الذين يزيد عمرهم عن 70 عاماً حيث لا يستطيعوا أن يشاركوا في أعمال الشغب أو حمل السلاح.

بلغت دقة تتبع المورسيكيين ومسخ هويتهم الدينية الى الحالة الاجتماعية من خلال تفكيكهم اسريا عبر زج النساء في زواجات مسيحية لكي تضمحل الروح الاسلامية داخل النفوس المورسيكية ولو عبر الاجيال القادمة، وهذا يؤكد جانب القوة المعنوية التي تمسك بها المورسكسيين والتي اجبرت المسيحيين على اللجوء الى هذا الفعل، الذي يمثل التمي في السلوك والانحطاط في القيم الإنسانية[48]،فضلا عن التحرف الصريح لتعاليم السيد المسيح عليه السلام فان هذا الراهب في رسالته هذه السياسة التي يتبعها اصحاب القرار يقول :

(أما النساء الموريسكيات المتزوجات من مسيحيين قدامى فأبناؤهم من المسيحيين القدامى وكذلك أباؤهم وأجدادهم وأحفادهم. إن هؤلاء النساء على

الرغم من أنهن موريسكيات، يجب أن يتمتعن بالإمتيازات نفسها التي لأزواجهن وآبائهن. لقد تزوج أزواجهن بتصريح من صاحب الجلالة، وفقاً لقوانينه وقوانين الكنيسة المقدسة. لماذا ترغبون في أخذ زوجاتهم منهم، ومن يستطيع أن يفعل ذلك؟ وإذا ذهب أي منهم حتى وإن كان موريسكياً متزوجاً من مسيحية قديمة فإن هذا سيحطم الأسرة، ثم بعد ذلك يبدأ الشك والتساؤل حول مدى صحة هذا الزواج، وذلك لأنه زواج مع اختلاف الملة، ثم بعد ذلك تأتي أضرار أخرى كثيرة) [49].

ولم يقتصر الامر على معاملة الرجال والناس بالقسوة العجيبة بل تعدى ذلك الى الاطفال حيث حملهم هؤولاء جرائم ابائهم على فرض اعتبار البقاء على الاسلام جريمة ، وكان تهجيرهم قرارا متهورا لذلك فان هذا الرلاهب في رسالته يحذر من خطورة مثل هذا القرار مبينا ان هولاء لاذنب لهم يقول:

(أما بالنسبة للأطفال الصغار فلا يوجد منهم أي خطر، إلى أين سوف يذهبون؟ وبخاصة أولئك الذين ليس لهم آباء أو أمهات. في أي مكان سوف يتحولون إلى عبيد ويفقدون الإيمان والدين. إن عمرهم لا يتحمل العقوبة، فهم ليسوا بمجرمين ولم يجرموا. وحول الأطفال يوجد اعتبار آخر خطير جداً. فلو افترضنا أن تلك القرارات الملكية تفترض أنه إذا كان الآباء مسلمين وأبناؤهم تم تعميدهم هل يتركوا لآبائهم أم يؤخذوا منهم؟ إنه موضوع خطير جداً) [50].

لقد كشف هذا الراهب من خلال رسالته هذه ان الشك بتحول الموريسكيين عن اسلامهم يراود محاكم التفتيش والقائمين على امر هذا التحول وانهم لم يستطيعوا فرض الديانة المسيحية على قلوب هولاء المغلوب على امرهم وغاية ما في الامر انهم اقروا بالمسيحية بلسانهن لحفظ دمائهم ومكانتهم الاجتماعية من التهديد او الزوال نهائيا يقول

(وإن من بين الرجال المشهور عنهم أنهم موريسكيون وأحفاد لموريسكيين، يوجد البعض الذين أعطوا أدلة وبراهين تدل على أنهم مسيحيون. وبين الكثير من هؤلاء من المؤكد وجود البعض الذين على هذه الصفة، حيث يؤمنون بالأسرار المقدسة، ويربون أبناءهم على الفضيلة ويلحقونهم بمراحل التعليم. وإن جلالتكم تجود عليهم بفضلك وتجعلهم موضع رعايتك فتقبلهم في المراتب المختلفة في الكنائس[51].

يؤكد هذا الراهب انه على الرغم من دخول بعض الموريسكيين في سلك المسيحية على انهم معلمين لهذه الديانة ما زال الشك قائما بصحة اعتقادهم فتم تهجيرهم مما يدل على الخوف والهلع الشديدين الذين استوليا على الغزاة بين ذلك بالقول :

(ولقد قبلت أنا بعضهم في بعض الجماعات الدينية بعد أن تحققت بدقة من نشأتهم وعاداتهم، وأحد هؤلاء يعلّم الناس أمور الدين علناً في جامعة هذه المدينة. ولا يبدو، ولا يصدق أن يكون هؤلاء قد تآمروا أو وافقوا على الثورة. الآن في هذا القرار تتم معاقبتهم ويطردون ويستولى على أموالهم. ماذا سنفعل بهؤلاء الذين انتموا

إلى تلك الجماعات الدينية وهم نماذج للفضيلة، والذين بفضل صاحب الجلالة وإنعامه يمكن أن يكونوا مفيدين في اعتناق أهليهم للمسيحية؟)(52).

وهناك آخرون خدموا في الثورة الماضية، تركوا أهلهم وخدموا صاحب الجلالة بصورة واضحة، ولهذا سمح لهم صاحب الجلالة بالبقاء في هذه المملكة وترك لهم أموالهم. وقد أفاد هؤلاء دائما وبقوا مخلصين عندما تمرد كل أهل المملكة على الرغم من أنهم كانوا وسط النيران مع أهليهم ولا يمكن أن يصدق أن يتمردوا الآن وهم بيننا بمفردهم[53].

وتحتاج هذه المملكة والمدينة لخدمات بعضهم وهنا يقدمون خدمات لكل إسبانيا وممالكها، وإنه نظراً للحاجة إليهم وعلى الرغم من أنهم قد اشتركوا في الثورة، فقد وافق صاحب الجلالة وأبقاهم في هذه المدينة، ومنهم اليوم أرباب مهن عامة يجيدها الموريسكيون فقط، ومن الواضح أن المداخيل الأميرية والمعاملات سوف تتضرر كثيراً إذا تم إخراج هؤلاء، حيث ستتوقف تلك المهن التي لا يجيدها المسيحيون القدامى ولا يجتهدون فيها. وسوف تتضرر المداخيل الأميرية بصورة كبيرة ثم بعد ذلك المداخيل الأخرى.

لقد أبدى صاحب الجلالة صورة الرحمة التي استخدمها مع هؤلاء الناس في أثناء التمرد في هذه المملكة عام 1570، حيث تمردوا وحملوا السلاح ورفضوا التعميد والإيمان والدين. وقد تم التغلب عليهم بقوة السلاح وتمت مصادرة أموالهم ومحالهم للتاج الملكي. في تلك المناسبة استخدم صاحب الجلالة الرحمة مع كثير منهم ووسعهم بعطفه، وقد ترك الكثير منهم الآن في فالنسيا. ولدينا كلنا أمل كبير في أن نتمتع بتلك الرحمة التي استخدمها في غرناطة.

إن الأجل الذي حدد ليخرج فيه هؤلاء يعتبر قصيراً، ولا يعطيني الفرصة لتصحيح أخطاء هذه المسودة؛ لهذا أتوسل إلى صاحب الجلالة أن يعفو عني، وأن يقبل رغبتي التي تسعى دائماً إلى خدمته والنصح له.

أدعوا الله أن يحمي صاحب الجلالة، وأن يرفع ذكر شخصه الكاثوليكي، ولما كنت أنا خادمه فأنا أتوسل إليه[54].

لاشك ان المورسييكين ابدوا مقاومة شديدة للمسيحيين رغم التفاوت بين الطرفين في العدة والمكنة فكانوا يعتدون بالمعنويات والارتباط بالدين اكثر من العدة البدنية إضافة الى أنهم حصلوا على مساعدة بعض النبلاء من المسيحيين ممن يرتبط معهم من جهة أدارة الإعمال والمزارع والتجاريات.

فقد كان تأييد النبلاء للموريسكيين هو الذي أثر على الملوك الأسبان فلم يطردوهم جماعة، وهذا ما يفسر لنا سياسة الوفاق التي اتبعها كل من كارلوس الخامس وفيليبي الثاني، بالإضافة إلى أنه لم يكن من المناسب خلق نزاعات داخلية في فترة انشغالهما بحروب خارجية[55].

وفي منتصف القرن السادس عشر تزايد الشعور الديني، ففي عام 1545م عقد مؤتمر ترينتو الديني الذي ضم كثيراً من التقارير المؤدية لعملية وحدة ونقاء العقيدة، ولنفس الهدف عقدت في إسبانيا مؤتمرات إقليمية. وعندما كان الرهبان الإسبان في أمريكا يجنون ثمرات نشاطهم التبشيري، وضحت داخل الوطن صورة تمسك الموريسكيين بشعائرهم الإسلامية التقليدية. ولا يجب أن ننسى أن القراصنة الأتراك والبربر كانوا يجدون في الجواسيس الموريسكيين عوناً لهم، و كان الموريسكيون يأملون في الدعم المسلح من قبل هؤلاء، وشاعت بين الفريقين تكهنات عن تحالفهما مستقبلاً وانتصارهما على المسيحيين، بنفس الطريقة الشفوية التي كانت تنتقل بها الأغنيات الشعبية الخاصة بمحاربينا خلال العصور الوسطى بين الشعب المسيحي والتي كانت تتحدث عن استرداد إسبانيا[56].

إن حركات التمرد الموريسكية المتعددة التي ظهرت خلال القرن السادس عشر في عدة أقاليم إسبانيا، وخاصة ثورة أهل غرناطة بمذابحها الرهيبة، عمقت الكراهية بين المسيحيين القدامى والمسيحيين الجدد أو الموريسكيين، هذا بالإضافة إلى حالات الإغتيال الفردية التي ارتكبها موريسكيون بدافع الانتقام الشخصي والتي كان العامل الديني يؤثر فيها كحافز [57].

الفصل الثالث: طرد الموريسكيين وأثره على الحالة الاقتصادية في الاندلس.

لم يعرف الأسبان عندما نفوا العرب ماذا كانوا يفعلون .. حقا لقد خربوا بيوتهم بأيديهم . فإنهم ابتهجوا أول الأمر بنفيهم . وشمتوا فيهم، وشفت غليلهم المناظرة المؤثرة لهؤلاء العرب . وهو يطردون من فردوسهم . ولكن الأسبان لم يدركوا لأنهم قتلوا الإوزة التي تبيض بيضة من ذهب كل يوم . فقد بقيت أسبانيا قرونا في حكم العرب وهي مركز المدنية، ومنبع الفنون والعلوم، ومثابة العلماء والطلاب،ومصباح الهداية والنور، ولم تصل أية مملكة في أوربا إلى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها ولم يبلغ عصر فرديناند وإيزابيلا القيصر المتلألئ، ولا إمبراطورية شارل الخامس، والأوج الذي بعد خروجهم من أسبانيا وضاءة لامع، ولكن ضوءها كان يشبه ضوء القمر الذي يستعير نوره من الشمس، ثم عصب ذلك كسوف بقيت بعده أسبانيا تتعثر في الظلام .

(وإنا لنحس فضل العرب وعظم أثار مجدهم . حينما نرى بأسبانيا الأراضي المهجورة القاحلة . التي كانت في أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار . وتزدهر بما فيها من الكروم . والزيتون . وسنابل القمح الذهبية . وجينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموت بالعلم ولعلماء . وحينما نشعر بالركود العام بعد الرفعة والازدهار) [58].

كانت مشكلة النقص الحاد في رجال العمل في المزارع التابعة للمسيحيين والتي سببها تهجير المورسيكيين تقلق الدولة الاسبانية فقد حصل انهيار

اقتصادي حاد نتيجة لذلك من هجر المزارع وعدم قدرة اصحابها على توفير الايدي العاملة البديلة عن المورسيكين ، لذلك أسرعت الدولة الى مناقشة هذه الحالة الخطرة عبر اجتماع مجلس الدولة[59].

بعد ذلك سيكون من المناسب توجيه أوامر لأصحاب الأراضي من أجل زراعتها، مع تحذيرهم من أنهم إذا لم يفعلوا فسوف تعطى لآخرين لكي يزرعونها، لأنه يوجد كثيرون يتركون زراعة الحقول ليقوموا بأعمال تحتاج لمجهود أقل وتعطي ربحاً أكثر، ولهذا يبقى جزء كبير منها دون زراعة، وهذا يسبب نقصاً في المحاصيل والفواكه. وإنه من العدل إجبار الذين يملكون أراضي خاصة بهم أن يزرعوها أو يعملوا على زراعتها وألا يحتقروا القيام بذلك، ففي الماضي كان الجميع يفتخرون بالزراعة[60].

وبالإضافة إلى ذلك يجب معالجة الإفراط الذي حدث في عملية تربية الفلاحين لأبنائهم، حيث يتخصص البعض في القانون والبعض الآخر في الأمور الكنسية، وفي والحرب، ويحتقرون الأنشطة الزراعية، وهذا سبب وجود عدد كبير من رجال القانون والقساوسة ورجال الدين، ونقص شديد في الفلاحين، لذا يكفي شخصاً لديه ستة أولاد أن يستخدم ثلاثة في تلك المهن، وأن يستمر الآخرون في العمل في مهنتهم نفسها، وبهذا الشكل ستوجد دائماً وفرة في الفلاحين، وإذا لم يفعلوا ذلك فيجب أن يجبروا على ترك أراضيهم ومزارع العنب الخاصة بهم لأقاربهم لكي يزرعوها". [61].

كانت الأرض الإسبانية في غاية ما يكون من الازدهار من ناحية الفن والزراعة والتجارة والصناعة وغير ذلك منذ انتهى حكم الامبراطور شارل كانت، فكانت مقاطعتا استورياس وبلاد الباسك خضراء يانعة تمرح فيها الماشية، وكانت تكثر في أراغون وقشتالة زراعة الحبوب، وأما الأندلس فحدث عنها ولا حرج، وأما شواطئ الأنهر مثل الوادي الكبير وغيره فتنتج من الفواكه ما لا يوصف، بينما كانت كاطالونيا تخرج من مصانعها الشيء الكثير، فالزيت والنبيذ كانا فوق الحاجة أما العسل والقطن وغيره فلا توصف كثرته، فكانت منتوجات إسبانيا تصدر للخارج بواسطة المراسي التي تحيط بشبه الجزيرة وبواسطة بعض الأنهر الصالحة للملاحة الداخلية، مثل الوادي الكبير[62].

كانت نواحي غرناطة توزع فيها المياه بشكل هندسي عجيب فتروي الأرض وتجعلها صالحة للزراعة، وكان يشمل التوزيع كل تلك الناحية إلى أعالي جبال البوشارات. كل هذا يرجع الفضل فيه إلى الموريسكيين، فكنت ترى في أعالي قمم الجبال العنب والزيتون، ونفس الشيء كنت تراه أيضا في بعض النقط من كاطالونيا وبلنسية، فكانوا لا يتركون قطعة أرض إلا ويغتنمونها للفلاحة أو لغير ذلك، بل يتسلقون أراض وعرة في الجبال فيحرثونها ويجعلونها منتجة ومفيدة، فإذا كانت في حاجة إلى الماء يجلبونه بأية وسيلة كانت حتى يجعلونها صالحة للإنتاج مما يدل على كدهم ونشاطهم في هذا الباب، فقد تفننوا في هندسة المياه وتوزيعها بشكل أدهش مهندسي عصرنا الحالي. أما ري الحقول فبقي على الطريقة الإسلامية القديمة ببلنسية، وكثير من أسماء أدوات الزراعة والفلاحة عربية[63]. أما الصناعة

فكان لهم فيها الباع الطويل، فصناعة الجلد والملف والحرير والفراء والخزف المذهب كانت تزخر بها أسواق طليطلة وكوينكا، وثيوداد، وسيكوفيا، وغرناطة، وقرطبة، وإشبيلية وبايثا. وكذلك برع الموريسكيون في صناعة الملف والحرير والورق، والجلد المطرز بالحرير والذهب والفضة[64].

كانت بحرية إسبانيا تحمل هذه المنتجات لكل أقطار العالم، فكانت تصدر من مراسي كاطالونيا وبلنسية ومالقة، واشبيلية وقادس إلى كل من إيطاليا وإفريقيا بل إلى بلاد الهند الشرقية، فكان التجار الأسبان يقصدون كل أسواق العالم، وكانت أسواق المكسيك والبيرو ولشبونة والمغرب وفيينا وجنوة وفلورنسا ونابوليس وميلانو وروما مملوءة بالتجار الأسبان يعرضون منتجات بلادهم، فكانت دار العملة باشبيلية لها شهرة وصيت، كان بها 180 عاملا لصك العملة، فكنت ترى في كل ساعة تخرج منها القوارب المملوءة بالذهب والفضة كأنها سلعة من السلع العادية، وكان بها ديوانيتان، إحداهما لجباية حق الملك، والثانية لجباية ما يأتي من أمريكا، فكان يخرج من هذه المدينة أي اشبيلية أكثر من مائة مركب الى اوربا والبلدان الإسلامية محملة بكل أنواع السلع والبضائع وأغلبها كان يرجع مسوقا بالذهب والفضة وأشياء أخرى[65].

هكذا كان الحال في إسبانيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر، ولكن بطرد الموريسكيين تبدلت الأشياء وأصبحت الحالة يرثى لها، وقد كان المكان الأول الذي ظهر فيه تأثير طرد الموريسكيين هي مملكة غرناطة حينما طرد ما بقي هناك منهم والذين تخلفوا وهم أقلية- من الحروب والثورات الداخلية والاضطهاد في عام 1570 م، وقد اعترف تقريبا في تلك الأثناء نفس المسؤولين بخطئهم والذين كان على يدهم طرد الموريسكيين، ويقول مؤرخوا الأندلس:

لم يستطيعوا تعويض الخسارة التي نتجت عن طرد 400 ألف مورسكي فبقيت الفلاحة والتجارة في مملكة غرناطة جامدة بخروجهم بعدما كانت مزدهرة رغم الحروب، وبإبعادهم بقيت خالية 400 قرية وغير مخدومة ولا تنتج شيئا، ولأجل ترميم ذلك وتعويض ما لحق إسبانيا من الخسارات بسبب طرد الموريسكيين أتوا بأسر تعمر ما خلا من الموريسكيين، فأتوا بعائلات من غليسيا واستورياس وجبال بركوس وليون، وأعطوهم الأدوات والبذور اللازمة للفلاحة والصناعة بكثرة، ولاتقاء الخلاف بينهم حددوا لكل واحد أرضه وقسطوا الماء عليهم مبينين لكل واحد حقه، وأعطوا كل واحد رسم الملكية، غير أن هذه الطريقة لم تجد نفعا، فأغلبهم كان يعيش بأرضه عيشة هادئة ومريحة، فلم يستطيعوا إنجاز أي عمل، فمنهم من تنازل عن أرضه ومنهم من قبل قسما، ومنهم من هرب وصار من قطاع الطرق[66].

كان من الصعب أن يوجد معمرون مثل الموريسكيين الذين كانت أرض المملكة بهم زاهرة، فالنصارى لم يكونوا يحسنون الفلاحة ولا لهم القدرة على العمل، وذلك لان الموريسكيين كانوا اهل الارض وارتبطو بها ارتباطا وثيقا لم يكن في خلدهم يوما

من الايام ان يفارقوها او انها تصادر منهم لذلك فانهم اتقوا مهنة الفلاحة والصناعة فاصبحو ذوي خبرة في ضغط النفقات ووسائل الانتاج وتوفير الربح وزيادة الموارد المالية بشتى الطرق المتاحة[67].

(يقول سكرتير فيليب الثاني Francisco Idiagnes أنه مع الموريسكيين لم يكن يوجد ركن أو قطعة أرض بدون أن تزرع أو تخدم. فبهذا كنت تجد الخيرات بكثرة في الأرض بسبب كدهم واتقانهم للعمل وقلة أكلهم وكان هذا يسبب انخفاضاً في الأسعار والرخاء في الأشياء، وقد شهد لهم مؤرخو عصرهم من نفس رجال الدين)[68].

وقد اعترف لهم خصومهم بانهم اهل خبرة في العمل والانتاج رغم انهم خصوم في الدين والعقيدة

(يقول الأب كرمات: إن المورسكيين كانوا فلاحين ومزارعين أكثر من غيرهم في شبه الجزيرة . ويقول فراي بدرو ذي سان تثيليو كانوا أعداء المجتمع لكنهم كانوا مكدين ومثابرين على العمل ويقول كذلك: فعلى منهاجهم كانوا يجبرون النصارى القدماء بأن يخدموا الأرض التي ورثوها. كان المورسكيون يسكنون منعزلين عن النصارى القدماء في أحياء خاصة بهم أو قرى اللهم إلا القسيس الذي يقوم بشؤون التعليم والتبشير بالنصرانية ويدير شؤون الكنيسة. ولقد بعث أحد رجال الدين تقريرا للملك في عام 1597 يقول فيه عن المورسكيين: رغم كوني حاميا للمهنة المقدسة أظن أنه لا يجب أن يسمح بطرد المورسكيين من إسبانيا بأي حال من الأحوال". لكن لم تؤخذ هذه النصيحة بعين الاعتبار. فلمصلحة الدين والسلم الداخلي - كما يقولون - لم تراع مصلحة الفن والتجارة والزراعة وغيرها من المصالح التي كانت مزدهرة بهم، وبازدهارها كانت إسبانيا أرقى الدول في العالم. وهكذا فبمرسوم فيليب الثالث خرج عدد كبير من الصناع والزراع الذين ذهب بذهابهم فن الصناعة والتجارة والزراعة[69].

ويقول كامبو مانيس الشهير : إن نقطتي الاخلال والاخطاط في اقتصادنا يمكن تحديدها في عام 1609 عندما ابتدأ طرد المورسكيين، وكذلك ابتدأ هبوط الصناعة

ثم يقول:

إن الغلط الذي ارتكبه ساستنا في القرن السابع عشر لحد الآن لم تستطع الدولة إجباره. فالأسبان قد ارتكبوا غلطتين كانتا السبب في اخطاطهم عند طرد المورسكيين. الغلط الأول أنهم لم يختلطوا بالمورسكيين بصفتهم مستعمرين، والثاني لم يشتغلوا ويتعلموا منهم، لأن هذا يضطرهم للاحتكاك بهم وهذا لا يريدونه[70].

إن الطرد النهائي للمورسكيين من عام 1609 إلى 1614 أنتج عواقب وخيمة على الدولة كما ذكرنا، وزاد أن خلت كثير من البقاع من سكانها فقل عدد سكان إسبانيا، ومما زاد الطين بلة كثرة الحروب الداخلية بين الإسبان أنفسهم، ثم حروب

إسبانيا الخارجية سواء في إفريقيا أو أوربا أو جزر البحر الأبيض المتوسط أو احتلال أراضي أمريكا ثم الأمراض والأوبئة التي عم انتشارها في تلك السنين. كل هذا قلل من سكان البلاد وأتى بنقمة على الأمة ظاهرها وباطنها العذاب[71].

نتائج البحث:

تبين للباحث بعد ما تقدم. النتائج الاتية

اولا: ما حل بالمورسيكيين الاندلسيين بعد سقوط غرناطة وحتى طردهم النهائي سنة(1609 م) يعد اشد وافضع مأساة انسانية عرفها التاريخ البشري على الاطلاق ، وكان سببه التناحر على زعامة الاندلس بين الحكام فيما بينهم بعد محمد الغني بالله حيث لم تعد الأندلس إلى سابق قوتها أبداً فقد تعاقب الملوك على العرش ووقعت بينهم الخلافات ما تسلط عليهم المسيحيين فطردوهم

ثانيا: الموريسكيون في الإسبانية (Moriscos) ، اسم أطلق في شبه الجزيرة الإيبرية على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد استرجاعها على أيدي المسيحيين وان اطلاق هذا المصطلح لازم المسلمين بعد سقوط اشبيلية ولم يعرف قبل هذا التاريخ مطلقا ، فهو من المؤكد يكون ما اطلقه النصارى على المسلمين ولم يكن يعرف به مسلموا الاندلس ابدا .

ثالثا: لم يكن التطرف الديني الذي قام به المسيحيين الذي ان استولوا على غرناطة مقتصراعلى استبدال الدين الاسلامي بالدين المسيحي واجبار الناس على اعتناق المسيحية ، وانما إمتد الى التطرف الفكري والعلمي حيث تم مصادرة تراث الانسانية الذي زخرت به مكتبات المسلمين من مصنفاتهم في الدين والفقه والعقيدة والادب والتاريخ وشتى العلوم الانسانية

رابعا: بعد ان رفض الموسيكيين اعتناقد الدين المسيحي تم تهجيرهم صوهذا قد جرى على مرحلتين خصوصا بعد قيامهم بثورات وتمرد ضد المحتلين فقد هجر من مملكة غرناطة إبان ثورتها الكبرى وبعدها ما مجموعه 80.000 مسلم أندلسي شتتوا على جميع أنحاء (قشتالة) عدا مملكة مرسية

خامسا: اظهر البحث التحدي الكبير الذي قام به المورسيكين لعملية التنصير بثباتهم على العقيدة وهذا جرى باعتراف خصومهم حيث قال احدهم: إنهم لا يعرفون العقيدة، لأنهم لا يريدون معرفتها ولأنهم يفتخرون بأنهم لا يفعلون شيئا له مظهر مسيحي، فيجب ألا نسميهم موريسكيين بل مسلمين.

سادسا: كان تهجير المورسكيين قد سبب ازمة اقتصادية حادة في الاندل لانهم كانوا اصحاب نزارع يعملون وينتجون لذلك كانت مشكلة النقص الحاد في رجال العمل في المزارع التابعة للمسيحين والتي سببها تهجير المورسيكيين تقلق الدولة الاسبانية فقد حصل انهيار اقتصادي حاد نتيجة لذلك من هجر المزارع وعدم قدرة اصحابها على توفير الايدي العاملة البديلة عن المورسيكين

هذه هي ابرز النتائج التي توصل أليها الباحث .

مصادر ومراجع البحث:

★- ابن الأبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (ت658هـ/1259م)، الحلة السيراء، ط2، تعريب: حسين مؤنس، دار المعارف، الناشر، ذخائر العرب، القاهرة، 1985.

★- الادريسي: ابو عبد الله محمد (ت560هـ/1164).
وصف افريقية الشمالية والصحراء، صححه: صفري بيربس، الجزائر، 1957.

★- ابن إياس ، محمد بن احمد (ت930هـ/1523م)،بدائع الزهور في وقائع الدهور ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1894م .

★- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى: 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المحقق: إحسان عباس الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ،الطبعة الاولى،1981م.

★- الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/1494م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : أحسان عباس ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار القلم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975م .

★- ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، (ت776هـ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله ، الطبعة الثانية، القاهرة ، 1973م .

★- الزهري: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت556هـ/1110م) ، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد جمال صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.دت.

★- العذري، أبو العباس احمد بن عمر (ت 478هـ/1085م)،نصوص عن الأندلس (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) ، تح : عبد العزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد – 1965).

★- ابو العباس، احمد بن يحبى بن محمد التلمساني النوشريشي اسنى المتاجر في احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجروما يترتب من العقوبات والزواجر، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية المجلد 5 مدريد سنة 1975م.

★- العذري : ابو العباس احمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت478هـ/1085م). نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1965م.

★- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد اللّه انيس الطباع ، بيروت 1975م.
★- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ)أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المؤلف المحقق: مصطفى السقا ،إبراهيم الإبياري،عبد العظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة عام النشر: 1358 هـ – 1939 م
★- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها إحسان عباس دار صادر- بيروت الطبعة الاولى، 1900 م.
★-مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق : سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986م.
★- المراكشي ،عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين المتوفى: 647هـ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين: تحقيق صلاح الدين الهواري الناشر: المكتبة العصرية، صيدا الطبعة: الأولى، 1426هـ – 2006م.

المراجع

★-احمد ، حسن صغير ، علاقة الفاطميين بدول المغرب ، (362-567هـ /973-1171م) مدبولي ، القاهرة ، دت ،
★- ايبارا، ميغيل انخيل بونيس، مويسكيون في الفكر التاريخي ، ترجمة وسام محمد جزر /المجلس الاعلى للثقافة مصر – الطبعة الاولى ،1992م.
★- باسكوال، الاسقف دون،المورسيكيون الاسبان وواقع طردهم ، ترجمة الدكتورة كنزة الغالي،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الاولى سنة 20012م .
★- بدرولونغاس ،حياة الموريسكيين الدينية، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة القاهرة،1981م.★- التميمي، عبد الجليل ،تطبيق الموريسكيين الاندلسيين للشعائر الاسلامية ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتومثيق والمعلومات، زغوان 1991م .
★- بشتاوي،عادل سعيد،الاندلسيون المواركة ،انترناشيونال، القاهرة،1983م
★- بشتاوي، عادل سعيد،الأمة الأندلسية الشهيدة، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م.
★- الجارم، علي ، العرب في اسبانيا ،دار المعارف للطباعة والنشر- تونس،بلا تاريخ -

*- الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم – دمشق، الطبعة الخامسة ، 1997م.
*-خواجي، عبده، الخلافات السياسية في الدولة النصرية وأثرها في إسقاط الأندلس، قباء، الرياض،1410هـ.
*- دومينغيث أورتيث، برنارد فينسينت،، تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية ، ترجمة عبدالعال صالح،المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة، 2008م.
*- الذنون،عبد الحكيم،افاق غرناطة،دار الصباح،دمشق،1988م.
*- السويدان،طارق، الأندلس المصور،الإبداع الفكري،الكويت،2005م.
*-الشطاط،علي حسين ،نهاية الوجود العربي في الاندلس،دارقباء،القاهرة،2001.
*- عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ،مكتبة الخانجي القاهرة – الطبعة الرابعة،1997م .
*-عنبتاوي،عنان فائق،حكايتنا في الأندلس،المؤسسةالعربية للدراسات والنشر،بيروت،1989م.
*- عويس،عبد الحليم،التكاثر المادي وأثره في إسقاط الأندلس، دار الصحوة، القاهرة،1994م.
*- الكتاني،علي المنتصر ، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
*-الفتاح،عوض عبد، فصول في تاريخ الأندلس،عين للدراسات والبحوث،مصر،2001م.
*- قطب، محمد علي ، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الاندلس، بلا تاريخ ولا طبعة.
*- كونستيل ، اوليفيا ريمي،التجار والتجارة في الاندلس، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، 2002م.
*- ليونارد باتريك هارفي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية: بيروت 1999م.
*- محمد قشتيليو، الموريسكيون داخل إسبانيا وخارجها،منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط، 1977م.
*- مؤنس، الدكتور حسين ، معالم التاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد- القاهرة، الطبعة العاشرة 2008 م .

★- هايد ، ف، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، تعريب: احمد محمد، مراجعة: عز الدين فودة، الهيئة المصرية، القاهرة، 1985م.

الهوامش :

(1)محاكم التفتيش : كان الهدف منها القضاء على الديانة غير مسيحية ولا سيما الإسلام . انتهجت أبشع الأساليب ضد العرب المسلمين قتل وتعذيب ضد المسلمين ، ومصادرة الأبناء و الأموال والنفي للعرب المسلمين من الأندلس . إبادتهم جماعيا . عنان ، نهاية الاندلس ، ص311-319 ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تر عادل زغير ، الطبعة الثالثة ، مطبع دار الاحياء العربية ، القاهرة ،1960م، ص270-272 .

(2)ظ: عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ،مكتبة الخانجي القاهرة – الطبعة الرابعة ، 1997م : ج4 ص 308 .

(3) اثر عن هذه الملكة قولها : ان حب المسيح والعذراء جعلني اميل لارتكاب الاعمال المؤدية الى البؤس والشقاء وخراب البلاد والملك(محمد علي قطب، مذابح ومحاكم التفتيش ، ص 120)

(4)ظ:مؤنس، حسين، معالم التاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد- القاهرة،الطبعة العاشرة،2008م، ص 453.

(5)ظ: مؤنس، حسين ، معالم التاريخ المغرب والأندلس ،ص 455.

(6) نفح الطيب ج4 ص 527

(7)ابن إياس،محمد بن احمد(ت930هـ/1523م)،بدائع الزهور في وقائع الدهور،المطبعة الأميرية،القاهرة،1894م،ج2،ص323.

(8) ظ: معجم الإسلام التاريخي : الباحثين ج . و . د . سورديل ، ص 954 .

(9) ظ: الذنون،عبد الحكيم،افاق غرناطة،دار الصباح،دمشق،1988م،ص71.

(10)ظ: قطب، محمد علي قطب، جرائم ومذابح محاكم التفتيش في الأندلس، ص 120.

(11) ظ: معجم، ج . و . د . سورديل ، ص 954 -956.

(12)ظ:حتاملة،محمد عبدة، التنصير القسري لمسلمي الاندلس، الخانجي ،مصر 1980،ص56؛ايرفنغ،واشنطن،اخبار سقوط غرناطة،تعريب هاني يحيى،الانتشار العربي،بيروت،2000م،ص411.

(13)ظ:الذنون،افاق،ص31،ص41-43.

(14)ظ: العذري، أبو العباس احمد بن عمر (ت 478هـ/1085م)،نصوص عن الأندلس (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) ، تح : عبد العزيز الاهواني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد – 1965)،ص4-5؛ ابن الأبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (ت658هـ/1259م)، الحلة السيراء، ط2، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، الناشر، ذخائر العرب، القاهرة، 1985،ج2، ص332-333.

(15)أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ(المحقق: مصطفى السقا (المدرس بجامعة فؤاد الأول) - إبراهيم الإبياري

(المدرس بالمدارس الأميرية) - عبد العظيم شلبي (المدرس بالمدارس الأميرية(الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة عام النشر: 1358 هـ - 1939 م، ج1ص، 68.

(16) ظ:الفتاح،عوض عبد، فصول في تاريخ الأندلس،عين للدراسات والبحوث،مصر،2001م،ص138-144.

(17)ظ:الشطاط،علي حسين ،نهاية الوجود العربي في الاندلس،دارقباء،القاهرة،2001،ص61-68.

(18)لايخفى عن القارى الكريم ان البحث في المورسييكين شاق ومرهق لقلة المصادر وندرة الوثائق والمخطوطات لاسيما الاسلامية منها

(19)ظ: ليونارد باتريك هارفي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية: بيروت 1999.ج1ص 453.

(20) هذه المدينة تسمى في المؤلفات العربية بمدينة عبد السلام او قلعة النهر لوقوعها الى نهرنارس احد فرع نهر التاجة وهي تقع جنوب غرب وادي الحجارة في منتصف المسافة بينها وبين مدريد

(21) ظ: مؤنس،مصدر سابق ص 316

(22) ظ: ايبارا، ميغيل انخيل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي ، ترجمة وسام محمد جزر /المجلس الاعلى للثقافة مصر – الطبعة الاولى ص21

(23) ظ:الشطاط،نهاية الوجود العربي،ص68؛ معجم الإسلام التاريخي : الباحثين ج . و . د . سورديل ، ص 954 .

(24) ظ: بشتاوي، عادل سعيد،الأمة الأندلسية الشهيدة، ط1، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000،ص99، 104

(25) بشتاوي،الأمة الأندلسية،ص105؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تر عادل زغير ، الطبعة الثالثة ، مطبع دار الاحياء العربية ، القاهرة ، 1960 ، ص270-272 .

(26)عوض،فصول في تاريخ الأندلس ،ص260-264.

(27) عوض، فصول في تاريخ الأندلس ،ص266-268.

(28) الكتاني،علي المنتصر ، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

(29) باسكوال، الاسقف دون،الموريسكيون الاسبان وواقع طردهم ، ترجمة الدكتورة كنزة الغالي،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الاولى سنة 20012م ، ص 14.

(30)تطبيق الموريسكيين الاندلسيين للشعائر الاسلامية ، اشراف الدكتور الاستاذ عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات، زغوان 1991م ، ص25.

(31) كان اغلب الموريسكيون يؤدون الشعائر الدينية الاسلامية في الخفاء مستخدمين التقية وقد افتى لهم بذلك علماء الشمال الافريقي وبالخصوص مفتي وهران حيث ارسل اليهم رسالة جاء فيها: الى اخواننا القابضين على دينهم كالقابض على جمر حافظوا على الصلوة ولو بالاشارة وادوا الزكاة ولو بالتصدق على الفقراء... تيمموا ولو بلمس الحائط بايديكم... اذا اجبرتم على شرب الخمر او اكل الخنزير فكلوه وطهروا نياتكم واعترفوا بحرمته ... اذا قالوا لكم ان عيسى مات مصلوبا فقولوا ان ذلك تكريم من الله له لكي يرفعه الى السماوات (ظ: حياة المورسيكين الدينية، ص275)

(32) ظ: معجم الإسلام التاريخي : الباحثين ج . و . د . سورديل ، ص 954 .

(33) نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ص45،الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم – دمشق، الطبعة الخامسة سنة 1997م ص 537

(34) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين المؤلف: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين المتوفي: 647هـ: تحقيق الدكتور لاح الدين الهواري الناشر: المكتبة العصرية، صيدا الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2006م، ص401

(35) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة المؤلف: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفي: 542هـ(المحقق: إحسان عباس الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس الطبعة: 1، 1981 ، ج4ص23

(36)ظ: بشتاوي، عادل سعيد،الأمة الأندلسية ،،ص104-106؛ الشطاط،غاية الوجود العربي،ص68؛ معجم الإسلام التاريخي : ا سورديل ، ص 954-956 .

(37) محمد قشتيليو، الموريسكيون داخل إسبانيا وخارجها،منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط، ص67 .

(38) انظر: اسنى المتاجر في احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب من العقوبات والزواجر، ابو العباس احمد بن يحيى بن محمد التلمساني النوشريشي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية المجلد 5 مدريد سنة 1975 م

(39)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفي: 1041هـ إحسان عباس دار صادر- بيروت الطبعة:الاولى ، 1900 ج4ص 527

(40)ذكر باسكوال: يوجد في الأرشيف المركزي مجموعة من الوثائق الهامة التي تطرقت لنشاط محكمة التفتيش و للأسباب التي عرضت بعض الموريسكيين للإعدام حرقا:

ميغيل موسى، قدم من شيفا، أحرق سنة 1573 ، لأسباب اثبتها في حقه كثير من الشهود :

أولا، رمى بالصليب على الأرض،

ثانيا، لم يتكلم قط ولا كتب بغير العربية

ثالثا، عند حلول رمضان كان يبعث الرسائل والمراسيل للمناطق المجاورة لإخبارهم بذلك يحثها على الصيام

رابعا، كان يمنع بعض الصبية من الذهاب إلى المدرسة حيث يتعلمون القشتالية وتعاليم الدين المسيحي ويعطيهم دروسا في بيته لتلقينهم الصلاة والقرآن والشعائر الإسلامية

.خامسا، كان يجمع الشباب والشيوخ في بيته ويتدارسون القرآن، وكتابا آخر كان يتحدث عن مناظرة بين المسيح ومحمد تغلب فيها هذا الأخير

سادسا، حسب القانون المطبق على المورو كان يحدد المهور التي تحصل عليها النساء خلال زواجهن حسب ما جاء في الشريعة الاسلامية، ويمكنهم أيضا للرجال أن يتزوجوا لأكثر من مرة .

سابعا، كان يذهب كل جمعة إلى ساقية زاكور حيث يتوضأ ويصلي .ثامنا، في العيد الأضحى، كان يذبح ذبيحة ويوزعها على الجيران والمحتاجين من ذويه سرا بواسطة أحد الخدم، إذ كان يحتفظ دائما ضمن قطيعه

بذبيحة سمينة لذلك الغرض، وقد قتل أحد خدمه حينما علم بأنه أخبر محقق التفتيش بما يمارسه من شعائر وعادات محمدية. ظ:(المورسيكيين الاسبان وواقع طردهم، مصدر سابق، ص 195).

(41) تطبيق الموريسكيين الاندلسيين للشعائر الاسلامية ، مصدر سابق ص 43.

(42) ظ:عنان ، نهاية الاندلس ، ص311-319 ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص270-272 .

(43) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، بيروت 1975 م ص 211.

(44) ابن الخطيب ،(أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت776هـ) ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله ، ط2 ، القاهرة ، 1973، ص107 .

(45) الروض المعطار ص 23، الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/1494م) ، تحقيق : احسان عباس ، ط1 ، مطبعة دار القلم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975م .

(46) بدرولونغاس ،حياة الموريسكيين الدينية، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة القاهرة، ص32.وهذا الكتاب هو تحقيق لكتاب مورسيكي يذكر فيه بالتفصيل الاعتقادات والشعائر الدينية للمورسيكيين والاحكام التي يستندون اليها في وضائفهم الشرعية .

(47) ظ: دومينغيث أورتيث، برنارد فينسينت، تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية ، ترجمة عبدالعال صالح،المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، 2008، ص66- 68.

(48) ظ: بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص 198-207.

(49)دومينغيث ، تاريخ الموريسكيين ،، ص68.

(50)المصدر نفسه ، ص67-68.

(51)المصدر نفسه،ص68؛السويدان، طارق، الاندلس المصور،الابداع الفكري،الكويت،2005، ص510-511.

(52)المصدر نفسه ، ص511-514.

(53) ظ: بشتاوي،عادل سعيد،الأندلسيون المواركة ،انترناشيونال، القاهرة،1983م،ص 114-117.

(54) ظ: دومينغيث أورتيثتاريخ ،الموريسكيين ، ص68.

(55) ظ: بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص119-120

(56) ظ: بشتاوي، الاندلسيون المواركة، ص132-136

(57) ظ:بدرو لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص36.

(58) ظ:الجارم، علي ، العرب في اسبانيا ،دار المعارف للطباعة والنشر- تونس،بلا تاريخ- ص 205.

(59) ظ: بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص193-194.

(60)ظ:عنبتاوي،عنان فائق،حكايتنا في الأندلس،المؤسسةالعربية للدراساتوالنشر،بيروت،1989م.ص133-135.

(61) ظ: دومينغيث أورتيث، تاريخ الموريسكيين،ص69.

(62) ظ: المصدر نفسه،ص70.

(63) ظ: ابن حوقل ، صورة الارض ، ص77-81؛ الادريسي ، المغرب وارض السودان ، ص73-83؛ الحميري ، الروض المعطاء ، ص319،163،138؛ مجهول ، الاستبصار ، ص33.

(64)ظ:ابن حوقل ، صورة الارض ، ص110-114؛الزهري،الجغرافيا ، ص119 ، الإدريسي المغرب وارض السودان ، ص197 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1،ص201-202؛ كونستيل ، التجارة والتجار الأندلسيين ، ص273 ،284-291.

(65)ظ: ينظر:ابن حوقل ، صورة الأرض،ص110-114؛العذري،نصوص من الأندلس،ص96 ؛ البكري، المسالك والممالك ج2،ص385-394؛ الإدريسي،المغرب وارض السودان،ص192؛الحميري ، الروض المعطاء،ص21-25،46؛المقري،نفح الطيب، ج1،ص145؛ كونستيل،التجارة والتجار في الأندلس،ص54,265؛احمد،حسن صغير،علاقة الفاطميين بدول المغرب(362-567هـ /973-1171م)، مدبولي،القاهرة،دت،ص101؛ هايد تاريخ التجارة،ج1،ص69-74.

(66)ظ: بشتاوي، الاندلسيون المواركة، ص132-136؛بدرو لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية، ص36-37.

(67) ظ:عنبتاوي ،حكايتنا في الأندلس،ص132-136؛ دومينغيث أورتيث، تاريخ الموريسكيين،ص69.

(68) محمد قشتيليو، المورسكيون في الأندلس وخارجها،منشورات مركز دراسات الأندلس وَحوار الحضارات،مطبعة الأمنية، الطبعة الثانية، الرباط ،008.ص141.

(69) ظ: دومينغيث أورتيث، تاريخ الموريسكيين،ص69؛ قشتيليو، المورسكيون في الأندلس وخارجها، ص141.

(70)ظ:خواجى، عبده، الخلافات السياسية في الدولة النصرية وأثرها في إسقاط الأندلس، قباء، الرياض،1410هـ ، ص357-360؛عويس،عبد الحليم،التكاثر المادي وأثره في إسقاط الأندلس، دار الصحوة، القاهرة،1994م، ص32-33.

(71)ظ: قشتيليو، المورسكيون في الأندلس وخارجها، ص141؛ خواجى، الخلافات السياسية، ص368-370؛ عويس، التكاثر المادي ، ص33-36.